

استراتيجية تحليل النصوص في اللغة العربية ومعايير تصنيفها
Strategies for Analyzing Arabic Texts and Classification Criteria

عبد القادر جعيد *

Abdelkader Djaïd

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة- بالجزائر (crsic)

Research Center for Islamic Sciences and Civilization - Algeria (CRSIC)

janadjaid@gmail.com1

تاريخ النشر: 2025/03/02	تاريخ القبول: 2024/11/29	تاريخ الإرسال: 2024/09/15
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

لقد باتت اللسانيات النصية وما نتج عنها من مفاهيم لسانية اتجاها بارزا في دراسة النصوص وتحليل الخطاب حيث أسهمت في التحديدات العلمية للنص كمنتج تواصل، كما حددت معايير تصنيفه وفق الاطار المنهجي والمرجعي للنظريات النصية، مما أفرز أدوات تحليل وآليات عمل تتوافق مع طبيعة هذه النصوص، وفي هذه الورقة البحثية التي عنوانها بـ "استراتيجية تحليل النصوص في اللغة العربية ومعايير تصنيفها" سنتطرق فيها للإطار الاستمولوجي للنص وانعكاساته على اللغة العربية من حيث توظيف معايير تصنيف النصوص وآليات عملها إن على مستوى الشكل أو على مستوى المضمون بهدف بناء استراتيجية تحليلية تسهل عملية التعليم والتعلم.

الكلمات المفتاح: إستراتيجية، تحليل، نص، معايير، تصنيف، عربية.

Abstract :

Text linguistics and its resulting linguistic concepts have become a prominent trend in text study and discourse analysis. These approaches have contributed to the scientific delineation of texts as communicative products and established criteria for their classification according to the methodological and theoretical frameworks of textual theories. This has led to the development of analytical tools and mechanisms suited to the nature of these texts. In this research paper titled "Strategies for Analyzing Arabic Texts and Classification Criteria" we will explore the epistemological framework of texts and its implications for the Arabic

* عبد القادر جعيد: janadjaid@gmail.com

language, focusing on the application of text classification criteria and mechanisms, both in terms of form and content, with the aim of developing an analytical strategy that facilitates the process of teaching and learning.

Keywords: Strategy, Analysis, Text, Classification, Criteria, Arabic.



مقدمة:

إن الأبحاث اللغوية بصفة عامة، واللسانيات النصية بشكل خاص، قدمت مجموعة من الطرائق التعليمية والمنهجيات التحليلية التي أصبحت معالما تأسيسية في دراسة النصوص وتحليل الخطاب، حيث تناولت النص بوصفه منتجاً تواصلياً، وحددت معايير تصنيفه في إطار منهجي ومرجعي يستند إلى النظريات النصية، مما أدى إلى تطوير تحليل النصوص وفهمها وإفهامها وفق منهجية تتوافق مع الوضعيات المختلفة للنصوص الأدبية. وقد ساعدت هذه المقاربات في تعزيز فهم النصوص في أبعادها ووضعياتها المختلفة، وأسهمت في بناء استراتيجيات تحليلية تسهل عمليات التعليم والتعلم.

وإذا كان النص تآليفاً أدبياً متناسقاً ومتكاملاً، يتسم بوحدة وتراپطه الداخلي الذي يضمن تواصله الفعال والمقنع حيث وجب على الناقد والدارس للنصوص الأدبية أن يعي هذه الحقائق والقواعد التي يتميز بها النص أو الخطاب كمنتج ينقل جملة أفكار أو معلومات في سياقات وظروف إجتماعية أو ثقافية معينة. وإذا أدركنا أنَّ النص والخطاب كفاهيم علمية في حقل الدراسات اللغوية والأدبية تتداخل فيما بينها وجب علينا في هذا الموضع أن نحدد ماهيته ومواطن الاشتراك والاختلاف بينها.

أولاً: مفهوم الخطاب:

يتوزع مفهوم الخطاب اللغوي والاصطلاحي على مجالات علمية مختلفة لها مرجعيات ثقافية واتجاهات لسانية متباينة قديماً وحديثاً مما جعله مجالاً يتسع ويضيق أحياناً على التنظير اللساني، ويتداخل مع الكثير من المصطلحات المحيطة له كالنص والقول والكلام مما يتطلب بيان ذلك.

1- لغة: تُحِيل لفظة "الخطاب" في معاجم اللغة العربية إلى عدة معانٍ، فقد جاء في لسان العرب في مادة (خ ط ب) قوله خطب الخطب: الشأن أو الأمر، صغر أو عظم؛ وقيل هو سبب الأمر. والخطاب الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن... مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان ¹ "ومما أضافه الفيروز أبادي قوله الخطاب أو الخطبة وهي "الكلام المنشور المسجع ونحوه، ورجل خطيب حسن الخطبة" ².

وأما ما أورده الزمخشري في أساس البلاغة فتقوله: "خطب: خاطبة أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام"³.

2-إصطلاحاً: إنَّ مفهوم الخطاب في التراث العربي كان واضحاً من حيث الدلالة العامة إذا أنه مرتبط بالقرآن الكريم وفي كثير من الآيات التي تصرح مباشرة بالغرض التداولي من الخطاب كقوله تعالى: ﴿فقال أكلنيها وعزني في الخطاب﴾ سورة ص 23 وقوله تعالى: ﴿وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ سورة ص 20. وقوله تعالى: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ الفرقان 63.

والمفسرون عندما تكلموا في معنى فصل الخطاب ذكروا عناصر الخطاب: الرسالة، والمتلقي، والمنتج للخطاب بما يقارب ما تشير إليه الإصطلاحات الحديثة حتى وإن كانوا لم يصرحوا بذلك، أي أنه يفهم ضمناً من طرائق تعبيرهم، فهذا الزمخشري يبين دلالة فصل الخطاب بقوله: البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به ولا يلتبس عليه"⁴.

والمفسر النيسابوري "فصل الخطاب" أيضاً على أنه القدرة على ضبط المعاني، والتعبير عنها بأقصى الغايات حتى يكون كاملاً مكملاً فيها مفهوماً⁵، ووضح ذلك الكفوي بقوله: "الخطاب اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متبهي لفهمه. احتز باللفظ عن الحركات، والإشارات المفهومة بالمواضعة، و(بالمواضع عليه) بالألفاظ المهملة، و'المقصود به الإفهام) عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع فانه لا يسمى خطاباً، وبقوله (لمن هو متبهي لفهمه) عن الكلام لمن لا يفهم كالنائم"⁶. فأبو البقاء يحلل التعريف على طريقة القدماء المتأثرين بالمنطق الأرسطي في إثباتهم للحدود موضحاً عناصر الخطاب أشبه ما يكون بما تقدمه اللسانيات النصية الحديثة.

ويرى أحد الدارسين أن النص "وحدات لغوية طبيعية منضدة متسقة منسجمة"⁷. ووجدنا ميشال فوكو يعرف الخطاب بقوله: "على أنه الميدان العام لمجموعة المنطوقات مرة، وأخرى باقة متميزة من المنطوقات وثالثة ممارسة فعلية وفق قواعد معينة لها دلالة على المنطوقات التي تشير إليها"⁸، ويمكن القول إن مفهوم الخطاب في الدرس اللساني حديث النشأة ارتبط ظهوره باللسانيات التي انصبت دراستها على الجملة بداية منذ اللسانيات البنوية مع مؤسسها دوسوسير التي رأت في مشروعية الدراسة العلمية للغة في إطار البحث عن البنية الداخلية لها من حيث هي علاقات داخلية تكتسب قيمتها ودلالاتها في ظل نظامه الداخلي بعيداً عن تأثير خارجي، ثم تجاوزها الخطاب على يد هاريس بتحليله الذي عُرف بالتوزيعي أو كما يصطلح عليه عبد الرحمن حاج صالح بالإستغراقي، حيث يقوم الدارس بتقطيع النص إلى عناصر تركيبية مجتمعة في طبقات متعادلة: حيث تتكون هذه الطبقة من مجموع العناصر التي تستطيع أن تظهر في سياق متطابق أو متشابه؛ فالتحديد يريد لنفسه أن يكون نحواً محضاً، أي أنه لا يأخذ في الحسبان مسألة العلاقة الدلالية بين العناصر المتعادلة نحوياً"⁹.

ثانياً: مفهوم النص: إن النص كاصطلاح لساني ليس من السهولة بمكان تحديده والوقوف على تعريف جامع مانع له سواء في الموروث الثقافي العربي أو الموروث الثقافي الغربي، إذ يتداخل هو الآخر مع الخطاب والكلام والقول، والجملة لا تعتبر مختلفة. وإن الوقوف على أبرز تعريفاتها اللغوية والاصطلاحية سيذلل الكثير من العقبات المفاهيمية ويفك بعض الغموض بينها.

1- لغة: يقول ابن منظور: النص: رَفْعُ الشَّيْءِ. نَصَّ الْحَدِيثَ يَنْصُهُ نَصًّا: رَفَعَهُ. وَكُلُّ مَا أُظْهِرَ، فَقَدْ نَصَّ... وَأَصْلُ النَّصِّ أَقْصَى الشَّيْءِ وَغَايَتُهُ¹⁰، وفي تاج العروس "أَصْلُ النَّصِّ: رَفْعُكَ لِلشَّيْءِ وإظهاره فهو من الرفع والظهور ومنه المنصة... نَصَّ الشَّيْءَ (يَنْصُهُ) نَصًّا: حَرَّكَه"¹¹، أما في اللغة الفرنسية وجدنا أن مصطلح Text يرتبط بالنسيج أو الأسياخ المظفرة¹²، ويبدو أن المصطلح استعير من المجال الصناعي، وقد نتج عنها اشتقاقات لا تخرج عن هذا المعنى الأصلي، ثم نقل هذا المعنى إلى نسيج النص، ثم اعتُبر النص نسجاً من الكلمات¹³.

2- اصطلاحاً: إنَّ النص من الوجهة الاصطلاحية يصعب تحديد مفهومه لأنه متشعب تبعاً للمشارب المعرفية والفكرية للسانين مما جعل النص نقطة التقاء تشترك فيها جميع المدارس اللسانية، كما دفع ببعض الدارسين التشكيك في القدرة على تعريف للنص تعريفاً جامعاً إذ يعتبرها فكرة غير منطقية من جهة التصور اللغوي مما يؤكد وجهات النظر المتباينة بين علماء اللغة حول حدود المصطلحات التي تتركز عليها بحوثهم¹⁴.

ويعد الامام الشافعي من أوائل علماء الأصول الذين تطرقوا إلى مفهوم النص حيث يقول: "النص ما أتي الكتاب على غاية البيان فيه، فلم يحتاج مع التنزيل فيه إلى غيره"¹⁵، وقد أكد الشيرازي هذا التصور بربط النص بوضوح المعنى وضبط الدلالة بقوله "النص ما رُفِعَ في بيانه إلى أبعد غايته"¹⁶، غير أن المحدثين العرب حاولوا ربط مصطلح النص بتلك المفاهيم الغربية التي ارتبطت بمفهوم النسيج (textuel) ولعل من أبرز هذه التعريفات ما أورده طه عبد الرحمن: كل بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات¹⁷.

وجاء عن بعض الباحثين أن (النص) هو التابع الجملي الذي يحقق غرضاً اتصالياً، ولكنه يتوجه إلى متلق غائب، وغالباً ما يكون مدونة مكتوبة تمتلك الديمومة. ولهذا تتعدد قراءات النص، وتتجدد بتعدد قرائه، وتعدد وجهات النظر فيه وحسب المناهج المتعددة¹⁸.

ومن أظهر المعوقات المفهومية التي تبرز في هذا المقام هو كيفية التمييز بين الخطاب والنص، فهناك إتجاه يميز النص أو الخطاب على أساس شكلي حيث يعد النص منتوجاً مكتوباً مرتبطاً بصاحبه ربطاً وثيقاً، حيث يرتبط بالادبولوجيا والموضوعية ربطاً غير ملزم أو ضروري في حين الخطاب هو إنتاج تفاعلي شفوي مرتبط بالادبولوجيا ربطاً وثيقاً في عناصرها الثلاث السلطة والمعرفة والحقيقة مما يقتضي لزوماً التمسك بالموضوعية.

والشائبي يعتقد أن معرفة مقاصد الكلام تعتمد على معرفة مقتضيات الأحوال (حال الخطاب من جهة نفس الخطاب أو المتكلم أو المخاطب أو الجميع)، أي أن المقولات الخطابية لها عدة زوايا واعتبارات تفهم منها، فأسلوب الاستفهام لفظه له معان متعددة كالتقرير والتوبيخ وغيرها، وكذا أسلوب الأمر، فقد يدل على معنى الإباحة والتهديد والتعجيز وأشباهاها، لذلك ليس بالمستطاع معرفة هذه المعاني إلا من خلال الأمور الخارجية وعمدتها مقتضيات الأحوال.

وإذا كان من غير الممكن نقل كل قرائن الكلام وملايساته، فإذا فات نقل بعض القرائن الدالة؛ فات فهم الكلام جملة أو بعضاً منه¹⁹. وكأنه يلمح الى مفهوم النص من وجهة النظر البنوية الشكلية التي تعنى بعناصر النص.

أما النقد الأدبي واللساني فينظر إلى النص كوحدة تحليلية تتكون من عناصر مترابطة من اللغة تهدف إلى تحقيق التأثير على القارئ أو المستمع ونقل المعنى بوضوح وفعالية. ومن جهة أخرى، يدل مفهوم الخطاب إلى استخدام اللغة والألفاظ لتوجيه رسالة محددة إلى جمهور معين لتحقيق غرض معين.

ويمكن أن يكون الخطاب شفويًا أو كتابيًا، ويتضمن عناصر الخريطة التخاطبية (الغرض، الجمهور، والسياق الاجتماعي والثقافي). كما يعكس المفهوم الخطابي الاهتمام بكيفية استخدام اللغة والأساليب اللغوية لتحقيق التأثير الاجتماعي والتواصل الفعال، والآليات التواصلية التي تؤثر في إنتاج الخطابات وفهمها.

إنّ النص والخطاب كاصطلاحات لسانية يمثلان أدوات مهمة في فهم اللغة وتحليلها وطريقة أساسية في الاتصال الإنساني حيث يلعب كل منها دورًا حيويًا في نقل الأفكار والمعاني بشكل فعال وفي سياقات متعددة ويحظى بالإحترام والمصدقية ويسهم في بناء وعي منظم وفَعَال.

ثالثًا: مقومات النص الأدبي: يقوم النص الأدبي أو (الخطاب) سواء كان نثرًا أو شعرًا أو ما تصل بهما من أجل أن يؤدي وظيفته في تصوير ما في النفس الإنسانية من عواطف وأحاسيس وأفكار ونقلها كخبرة عملية نابعة من رحم المعاناة؛ على جملة من المقومات تساهم في الفهم والتفهم وتعطي للعملية التعليمية مبرراتها المنهجية والإبستمولوجية في رسم استراتيجية تحليلية تمكن المعلم والمتعلم من تحصيل ثمارها المتوقعة سلفًا.

حيث يتميز النص الأدبي بمجموعة من الخصائص التي تجعل منه كيانًا فنيًا معقدًا وعميقًا. فهو يمتاز بالجمالية والإبداعية التي تتجلى في استخدام اللغة ببلاغتها، والصور البديعة، والرموز، والأخيلة التي تساهم في إثراء التجربة القرائية، وتجذب القارئ إلى عالمه الأدبي. بالإضافة إلى ذلك، يتسم النص الأدبي بالعمق والتعقيد، حيث يعالج قضايا متعددة الأبعاد، من بينها الجوانب النفسية والاجتماعية والفلسفية، ويتنقل بين محورين: أحدهما أفقي يركز على تداخل القضايا وتعقيدها، وآخر عمودي يهتم بالغوص في أعماق الفكرة لاستكشاف أبعادها المختلفة.

كما يتميز النص الأدبي أيضًا بتقديم شخصيات متنوعة تتطور على مدار النص، سواء كانت محاكاة للواقع أو خيالية، مما يعكس تجارب حياتية وأدوارًا اجتماعية، ثقافية، أو دينية، ويحفز القارئ على التفكير والتأمل في مصير هذه الشخصيات، وقد يحمل النص أبعادًا قد تثير التطلع إلى المستقبل أو تسعى إلى استكشاف المجهول.

أما على صعيد هيكل النص وتنظيمه، فالنص الأدبي يعتمد على بنية تنظيمية محكمة تسهم في بناء التوتر والإثارة، من خلال ترتيب دقيق للأحداث وتسلسل زمني مدروس. وتستفيد هذه البنية من طواعية اللغة العربية، سواء في بناء الجمل أو استخدام الأساليب، إلى جانب توظيف الروابط المنطقية واللغوية التي تساهم في تدفق النص وتسلسل أحداثه بشكل سلس ومنطقي.

وأخيرًا، يتضمن النص الأدبي الرمزية والمعاني الإيحائية التي تضفي عليه طبقات من المعاني المتعددة، مما يثير فضول القارئ ويدعوه إلى التأمل والتفسير. تتفاوت هذه الرموز في مستويات غموضها، حسب البيئة والزمان والمكان، وهي ترتبط غالبًا بالثقافات والجغرافيا الاجتماعية التي نشأ فيها النص، مما يجعل تفسيرها متشابهًا ومعتمدًا على سياقات متعددة.

رابعًا: تصنيف النصوص الأدبية: إن التمييز بين النصوص وتصنيفها يعتمد على عدة معايير علمية تساهم في رسم خريطة ذهنية للمتعلم وتمكنه من توظيف الآليات التحليلية المناسبة للنص الأدبي الذي تحصل به عمليتي الفهم والإفهام. ومن بين هذه المعيير ما يلي:

1. النوع الأدبي : يحدد هذا المعيار نوع النص بناءً على الشكل والمحتوى، كأن يكون شعراً، أو نثراً فنياً أو تعليمياً، أو قصة أو رواية سواء كانت كوميدياً أو دراماً أو تراجمياً، حسب رأي النقد الأدبي.
2. الأسلوب السردى: يشمل هذا المعيار الأساليب والتقنيات التي يستخدمها الكاتب في تقديم الأحداث والشخصيات، وفق التقنيات السردية المتنوعة التي تساهم في صناعة الخاصية الإبداعية والفنية للنص.
3. طبيعة الموضوع : ويهدف هذا المعيار التركيز على الأفكار الأساسية والمواضيع التي يتناولها النص، مثل الحب، الألم، الأمل، الحرب، السلم، السياسة، الدين، العلاقات الإنسانية وغيرها حيث يجب أن تتناسب مع المكان والزمان حتى يكون لها أساس موضوعي وواقعي، وتسهل عملية التواصل الناجح والتفاعلي مع المنتج الأدبي.
4. الجمهور المستهدف : يعتمد هذا المعيار على الجمهور المستهدف للنص، فهو الذي يحدد للكاتب طريقة اختيار اللغة المناسبة والموضوع الملائم سواء كانوا أطفالاً، أو شباباً، أو بالغين، أو مثقفين أو أميين كما يتناسب مع المستوى الاجتماعي والسياسي.

5. **الأفكار والقيم** : إن النصوص الأدبية قد تتناول قضايا وتصورات فلسفية وقيم أخلاقية بشكل عميق لا يمكن إدراكها وصبر أغوارها إلا لمن له سابق معرفة أو على الأقل أجديات تلك العلوم، وهذا يؤثر في تصنيفها.
6. **السياق الثقافي والتاريخي** : يتأثر نوع النص وتصنيفه بالسياق الثقافي والتاريخي الذي ينشأ فيه، حيث يمكن أن يكون النص جزءاً من تراث معين أو يعبر عن فترة زمنية محددة فهو يحدد النضج الحضاري للمجتمعات والمستويات العلمية التي وصلت إليه.
7. **الشكل والهيكل الداخلي للنص**: يتعلق بالتنظيم والهيكل الداخلي للنص، مثل التقسيم إلى فصول أو أقسام ثم يتم توزيع الفصول والمشاهد، واستخدام العناوين والتسميات أي بصورة مختصرة تستعمل كمنهجية للعرض والتناول.
- إن تبني هذه المعايير في إستراتيجية تحليل النصوص الأدبية تساعد في فهم وتصنيف النصوص بشكل أكبر دقة وفقاً لما يميز كل نوع أدبي عن الآخر، مع مراعاة التفاعل المتعدد بين هذه المعايير في النصوص الأدبية المتنوعة.
- خامساً: استراتيجية التحلل في النص الأدبي**: تعتمد عملية التحليل لأي نص أدبي على استراتيجية تحليلية وهي آليات تقنية ومنهجية تتطافر في خطة بنائية تركز بالأساس على مقومات النص الأدبي والتي سبق أن ذكرناها حيث تقوم بمد جسور معرفية بين مختلف القطاعات ومختلف التخصصات²⁰.
- كما تعتمد على ثلاثة أبعاد تحليلية أساسية هي البعد السياقي والبعد الدلالي والبلاغي والبعد النحوي التركيبي كما سنبينه من خلال التحليل الدلالي والنحوي والسياقي لبعض أبيات من قصيدة العلامة عبد الحميد بن باديس:
- شَعْبُ الْجَزَائِرِ مُسْلِمٌ *** وَآلِي الْعُرُوبَةِ يَنْتَسِبُ
مَنْ قَالَ حَادَ عَنْ أَصْلِهِ *** أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذَبَ
أَوْ زَامَ إِذْ مَاجَا لَهُ *** زَامَ الْمُحَالَ مِنْ الطَّلَبِ
يَا نَشْءَ أَنْتَ رَجَاؤُنَا *** وَبِكَ الصَّبَاحُ قَدْ اقْتَرَبَ
خَذْ لِلْحَيَاةِ سِلَاحَهَا *** وَخُذْ الْخُطُوبَ وَلَا تَهَبْ
- يُعتبر عبد الحميد بن باديس شخصية بارزة في الحركة الإصلاحية الجزائرية بل ورائدها بلا منازع، وقصائده غالباً ما تعكس قضايا الهوية والمقاومة. حيث سنركز في هذه الدراسة على تطبيق استراتيجية تحليل النصوص واستكشاف المعاني الضمنية للنص، بالإضافة إلى التركيب النحوي والسياق التاريخي والثقافي لتعزيز فهمنا للمضامين الأدبية للقصيدة، والرقى بالنوع الأدبي للنص.
- 1- التحليل الدلالي والبلاغي للأبيات:

إنَّ التحليل الدلالي يهدف إلى استخراج المعاني والإشارات الكامنة في النصوص عن طريق دراسة العلاقات الدلالية بين الكلمات والمفاهيم حيث يركز التحليل على العلاقات بين الجمل والتركيب وأنواعها كالجمل الشرطية والتوكيدية والخبرية والإنشائية؛ وكذا على العلاقات السببية والمنطقي²¹. كما يركز على بعض الظواهر اللغوية التي تعتري الكلمات كالترادف والمشتراك والإضداد حيث تبرز ظاهرة تكرار المعنى بصيغ صرفية مختلفة مما يدل على ثراء اللغة المستعملة فتتعرّز بذلك الفكرة وتوضح مراميها وفق إيقاع موسيقي غنائي جذاب يسهل الحفظ، ويسر عملية التذكر والاسترجاع.

ولقد ركز الشاعر عبد الحميد ابن باديس في قصيدته على عناصر الهوية الوطنية فجاءت على النحو التالي: فذكر في الشطر الأول: "شَعْبُ الْجَزَائِرِ مُسْلِمٌ" الهوية والانتماء في أبعادها الإسلامية للشعب الجزائري كعنصر أساسي من عناصر القصيدة، مما يشير إلى الوحدة الدينية والقيم المشتركة، وقد استعمل الشاعر لفظة (شعب) مرادفاً للفظ (الجزائريين) للدلالة على العموم والإحاطة، وأردف بدلالة الخبر (مسلم) للجزم والتقرير، والتأكيد بالحالة المستقرة الثابتة لهوية الشعب الجزائري وهي الإسلام.

"وَأَلَى الْعُرُوَّةِ يَنْتَسِبُ": إثبات لهذا الانتماء العروبي حيث يعزز الهوية الثقافية والقومية، مشدداً على روابط الوحدة القومية التي تجمعها الروابط الثقافية والتاريخية بين الجزائر وبقية العالم العربي كأمتداد طبيعي وأصيل للشعب الجزائري.

"مَنْ قَالَ حَادَ عَنْ أَصْلِهِ" لقد بدت روح المقاومة والصمود لدى الشاعر المصلح حيث رفض الإدعاءات التي تشير إلى تخلي الشعب عن أصوله، بل إنه على النهج الطبيعي والصحيح المتناغم مع تاريخه في رفض أي مسخ أو سلخ عن هويته.

"أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذَبَ": استعمل الشاعر لفظ (مات) لأنه أقصى إدعاء يمكن أن يذهب إليه أي استعمار للقضاء على الشعوب المستعمرة وطمس هويتها وقتل الأمل فيها، ثم يؤكد الشاعر الإصلاح على حيوية الشعب الجزائري واستمراره حتى في وجه القوى الخارجية. ويتهم الاستعمار بالكذب في مزاعمه وتزييف للحقائق التي لا تخفى على ذي لب.

"أَوْ رَامَ إِدْمَاجًا لَهُ *** رَامَ الْحَالِ مِنَ الْطَلْبِ": يُعْرِضُ الشاعر هنا بمن طالبوا بالإدماج، وضنوا، وتوهموا أن الجزائريين والفرنسيين يمكن أن يكونوا أمة واحدة. وأن هذا الحلم الكاذب مستحيل التحقق لأنه يعكس الطموحات غير الواقعية مما يشير إلى الفشل الحتمي لمن يحاول قهر الشعب الجزائري أو مسخ هويته. "يا نشء أنت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب":

يعبر الشاعر عن الأمل في الأجيال القادمة، حيث يرى في الشباب رمزاً للنهضة والتجديد من جهة، ويحملهم المسؤولية الملقاة على عاتقهم من جهة ثانية، وهذه هي الثقة المطلقة في أبنائه الذين صُنِعُوا على عين الله

عز وجل وعلى أيدي طاهرة متوضئة، كما أنها دلالة على اقتراب فجر جديد وأن آمال الحرية وأحلام الإنعتاق بالأمس القريب أوشكت أن تصبح حقائقاً ساطعة.

خذ للحياة سلاحاً*** وخذ الخطوب ولا تهب : يدعو الشاعر الشباب إلى التحلي بالشجاعة والاستعداد لمواجهة التحديات، مشيراً إلى أهمية التحلي بالأدوات اللازمة لمواجهة المصاعب وعدم الخوف منها. حيث استعمل استعارة مكنية شبه فيها الحياة بالمعركة تحتاج إلى سلاح العلم والفهم لأنها أحد من السيف وأسبق من الرمح.

2- التحليل النحوي للأبيات:

إنَّ التحليل النحوي يبدأ بدراسة بنية الجمل وتحليلها إلى عناصرها الأساسية، ونعني بها الركنين الأساسيين اللذين يتم بهما الاستناد (الفعل والفاعل أو المبتدا والخبر) والمخصصات، وما يطرأ على الجملة من ظواهر نحوية مثل التقديم والتأخير والحذف وما يستتبعها من ظواهر أسلوبية.

كما يتناول الأوزان الشعرية كجزء أساسي من التحليل النحوي، حيث تسهم في إنشاء الإيقاع والتأثير الجمالي للنص الشعري.

وإذا ما أردنا تحليل الجملة الأولى: "شَعْبُ الْجَزَائِرِ مُسْلِمٌ" وجدنا الشاعر إفتح القصيدة بالجملة الاسمية (من مبتدأ وخبر) التي كان لها الأثر البالغ في تأكيد الهوية المتميزة للجزائريين وثبوتها واستمرارها واستقرارها في نفسية الشاعر وهو يمثل صورة عاكسة لشخصية الشعب الجزائري.

أما الجملة الثانية: "وَالِىَ الْغُرُوبَةِ يَنْتَسِبُ" فهي جملة معطوف على التي قبلها للإشتراك في الحكم وفي الدلالة حتى يتصور أن العروبة والإسلام وجهان لعملة واحدة.

أما في الجملتين الثالثة والرابعة: "مَنْ قَالَ حَادَ عَنْ أَصْلِهِ*** أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذَبَ"

يُعرض الشاعر بمن زعم أن الشعب الجزائري يمكن استئثاره عن هويته أو كسر إرادته حيث استخدم جملة الاستفهام بالأسم الموصول لفضح هذه الفئة المنبته عن أصلها سواء كانت أفراداً أو أحزاباً، وأردف بالجملة الفعلية في هذا الموضع التي تفيد التجدد والاستمرار ليعزز فكرة النفي والدحض للإدعاءات الكاذبة، ويظهر الحيوية والديناميكية في مواجهة هذه المزاعم الكاذبة وأن مقاومتها واجب شرعي ووطني.

"أو رام إدماجاً له *** رام المحال من الطلب".

إنَّ إستعمال الشاعر للجملة الفعلية التي تحمل معنى التجدد والاستمرار من الفريق الأول في طلب الأدماج والمساواة بين الشعب الجزائري والشعب الفرنسي بكافة الطرق، واستمرار الفريق الثاني في إستماتة على درب الحرية والاستقلال ورفض لكل عمليات المسخ الهوياتي والتأكيد على أنَّ مطالب الإدماج ماهي إلى سراب لا طائل منه.

"يا نشء أنت رجاؤنا*** وبك الصباح قد اقترب"

لقد أستعمل شاعرنا أسلوب النداء في هذا الموضع لتوجيه الخطاب بشكل مباشر إلى الشباب، مما يعزز الشعور بالمسؤولية والانتماء عندهم. ويضفي نوعاً من الاهتمام والتركيز على المخاطب، ويُعطي إحساساً بالأهمية والحيوية والثقة الثابتة فيه، وهذا ما يستشف من استعمال الجملة الاسمية (أنت رجأونا)، أما استخدام الجملة الفعلية في الشطر الثاني من البيت يُشير إلى المستقبل والأمل في الشباب. فدلالة الفعل هنا تُعطي إحساساً بدناميكية الحركة والتقدم نحو الهدف بثبات وعزيمة.

"خذ للحياة سلاحها*** وخذ الخطوب ولا تهب"

إنّ التكرار في استخدام فعل الأمر (خذ) يُعزز الإلحاح والتأكيد على أهمية التحلي بالشجاعة والاستعداد لمواجهة التحديات والأخذ بالأسباب والسنن الإلهية التي لا تحابي أحداً، كما أنه أسلوب للتعزيز في العملية التعليمية عند العلامة ابن باديس وهو أسلوب متعارف عليه عند أهل الاختصاص.

1-2-الوزن الشعري: يلعب الوزن الشعري دوراً هاماً في نقل المعاني وتعزيزها في الشعر العربي.

والملاحظ أنّ الوزن الذي استخدمه عبد الحميد بن باديس في هذه الأبيات البحر الطويل، وهو من أشهر البحور في الشعر العربي ويتكون من تفعيلتين أساسيتين (فعولن مفاعيلن) تتكرران في كل شطر. واستعمل القافية (الباء الساكنة) حيث راح بين الكسر والفتح للحرف الذي قبلها مما أضفى على القصيدة نغمة موسيقية مميزة تجمع بين الرقة والقوة. حيث أن الكسرة تعطي إحساساً بالخفة، والفتحة تعطي شعوراً بالثبات والاستمرار بينما الحرف الساكن (الباء) يستعمله للوقوف والتنبيه مما يعطي إحساساً بالديناميكية والقوة في الخطاب.

3- التحليل السياقي للأبيات:

إنّ السياق بمفهومه العام يدل على "النظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم"²². وهو ينقسم إلى قسمين رئيسيين هما:

أ- السياق اللغوي أو الداخلي: ونعني به تأثير البنية الداخلية للغة التي يتولد عنها جملة من القيم النحوية توجه الدلالة وتصوغ المعنى المناسب حيث يكون المتكلم محصوراً داخل نظام النحو العربية لا يتعداه وأي خروج عنه يُعتبر لحناً ويخطئ صاحبه وهو الموضوع الذي كان من اهتمام النحاة. ويدخل التحليل النحوي الجملي كما أسلفنا أفناً ضمن استراتيجيته التحليلية.

ب- السياق الخارجي (الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي):

لقد أشار علماء اللغة العربية إلى أهمية مفهوم السياق في عباراتهم الشهيرة: (مطابقة الكلام بمقتضى الحال)²³، و(كل مقام مقال)، و(لكل كلمة مع صاحبها مقام)²⁴.

ويقول جون ديوي: السياق هو مجمل الشروط الاجتماعية المتفق عليها، التي تتخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي واستعمال اللغة، وهي المعطيات المشتركة بين المرسل والمرسل إليه والوضعية الثقافية والنفسية والتجارب والمعلومات الشائعة بينها²⁵.

كما عرّفه محمود السعمران بقوله: "هو جملة العناصر المكوّنة للموقف الإعلامي أو للحال الكلامية"²⁶. إن دراسة التحليل السياقي يعتمد على كيفية تأثير الخلفية الثقافية والاجتماعية على المعاني وعلى طريقة التعبير وتوظيف النصوص المناسبة في العربية. هذا يتطلب استخدام نهج علمي دقيق لتحليل المحتوى بناءً على السياقات التالية:

ب-1-السياق التاريخي: إن الملاحظ على قصيدة عبد الحميد بن باديس أنها كتبت في فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر (1830-1962).

وكانت تلك الفترة مليئة بالمقاومة والنضال من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية والثقافية للشعب الجزائري في مواجهة محاولات الاستعمار لطمسها. وعبد الحميد بن باديس كان أحد أبرز القادة الإصلاحيين في هذه الفترة، حيث ركز على التعليم والدعوة للحفاظ على الهوية الإسلامية والعربية للشعب الجزائري واستعمل كل الوسائل المتاحة في زمانه. وهذا يظهر من مطلع القصيدة.

ب-2-السياق الثقافي: يدرس هذا النوع من التحليل كيف تتأثر الأفكار والمفاهيم في النصوص بالقيم والتقاليد والعقائد الثقافية للمجتمع العربي. وفي العصر الذي كتب فيه بن باديس قصيدته، كانت مفاهيم العروبة، والتحرر، والعدالة تحظى بشعبية كبيرة بين النخب الثقافية والسياسية في العالم العربي. لأنها تمثل أفكار الوحدة والائتلاف العربي المشترك، والقاسم المشترك بين الحركات القومية في العديد من الدول العربية، واستخدمت القصائد الوطنية كأداة للتأثير على الجمهور وتجييشها نحو هدف الرئيسي وهو التخلص من الإستعمار، وتحريك المشاعر نحو القضايا المصيرية.

ب-3-السياق الاجتماعي والاقتصادي: يركز على دراسة الأوضاع والظروف الاجتماعية التي تؤثر في مضمون وهيكل النصوص. فقد كان الشعب الجزائري يعيش في حالة مزمنة من الفقر والأمراض والبطالة والامية كما كانت الأمة الجزائرية تعاني من ظروف اقتصادية صعبة نتيجة للسياسات الاستعمارية التي عمدت إلى نهب خيرات الجزائر واستعمال الشعب الجزائري كعبيد وخماسين لديها بأجر زهيد لا يسد رمقهم فكانت هذه التحديات تشكل جزءاً من الخلفية التي دفعت الشاعر إلى التعبير عن وطنيته بشكل قوي ومؤثر.

وعلى الرغم من تلك الصعوبات التي يعيشها الشعب الجزائري وخطورتها عليه تجاوزت القصيدة هذه الظروف المؤلمة وربطت الشعب الجزائري بالأمل ودعته للإنتفاضة ضد من سبب له هذه الآفات والمهالك مستنداً إلى الفكرة الدينية التي تعتبر المحرك الرئيس لنهضة الشعوب كما أكد ذلك المفكر مالك بن نبي في كتابه شروط النهضة.

خاتمة:

تُعدُّ استراتيجية تحليل النصوص أداةً جوهريةً في الأدب والنقد العربيين، حيث تمثل جسراً يربط بين القارئ والنص، مما يسمح بفهم أعمق وأشمل للأعمال الأدبية. من خلال تحليل السياق التاريخي والثقافي، وتفسير الرموز والدلالات، وتقييم الأسلوب الأدبي، والكشف عن البنية الفنية، وتحديد التأثيرات الأدبية، ولقد تطور النقد الأدبي كحقل أكاديمي، وعزز القدرة التحليلية للمبدع والمتلقي على السواء، ومكّن النقاد والباحثين من الوصول إلى قراءات غنية ومتعددة الأبعاد للنصوص مما ساهم في تذوق العمل الأدبي وساهم في التمييز بين جيدها وروديها، ويمكن أن نجمل أهم النتائج التي توصل لها البحث من خلال تطبيق الاستراتيجية التحليلية في النقاط التالية.

أهم النتائج:

- 1- إن تطبيق استراتيجية تحليلية على النموذج الشعري الذي تناوله البحث مكّننا من استخراج أهم الأبعاد البنائية للقصيدة حيث وجدنا العلامة عبد الحميد بن باديس أبدع في قصيدته فكانت غنية بالمعاني والمشاعر والمحولات الدلالية الموجهة للشباب.
- 2- استطاع الشاعر توظيف الأدوات البلاغية والتاريخية كي يوصل رسالة قوية عن الهوية الوطنية والالتقاء العروبي للشعب الجزائري.
- 3- القصيدة تؤكد على القيم الدينية والقومية التي تجمع الشعب الجزائري، وتبرز الروح الوطنية والكرامة الإنسانية في مواجهة الاستعمار.
- 4- تُعد القصيدة نموذجاً عملياً لإستراتيجية تحليل النصوص تبرز الشعر الوطني التحرري الذي يجسد روح النضال والتحرر، وتبرز قدرة الشاعر على التعبير عن مشاعر الأمة وتطلعاتها بطريقة فنية مؤثرة.

هوامش:

- ¹ - ابن منظور، 1979، لسان العرب، القاهرة، مصر، مكتبة دار المعارف، ج4، ص134.
- ² - الفيروزآبادي، 1986، القاموس المحيط، تح محمد نعيم العرقوسي، ط6، مؤسسة الرسالة، ص81.
- ³ - الزمخشري، 2005، أساس البلاغة، تح محمد أحمد قاسم، بيروت، المكتبة العصرية، ص228.
- ⁴ - الزمخشري، 1977، الكشف، ط1، بيروت، دار الفكر، ص81 وما بعدها.
- ⁵ - ينظر النيسابوري، 1996، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تح: الشيخ زكريا عميران، ط1، بيروت، لبنان، دارالكتب العلمية، مج5، ص587.
- ⁶ - أبو البقاء الكفوي، 1982، الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ص286.

- ⁷ - محمد مفتاح، 1996، التشابه والاختلاف، ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي، ص15.
- ⁸ - سارة ميلز، 2016، الخطاب، تر: عبد الوهاب علوب، ط1، القاهرة، مصر، المركز القومي للترجمة، ص78.
- ⁹ - ينظر سعيد يقطين، 1997، تحليل الخطاب الروائي (الزمن السردن التبئير)، ط3، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ص17.
- ¹⁰ - ابن منظور، 1414هـ، لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر، ج7، ص98.
- ¹¹ - الزبيدي، تاج العروس، دار الهداية، ج18، ص179.
- ¹² - ديتير فيجر، 1999، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح العجمي، ط1، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، ص4.
- ¹³ - ينظر محمد مفتاح، 1999، المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، ط1، الرباط، المركز الثقافي العربي، ص16.
- ¹⁴ - ينظر سعيد بحيري، 1977، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ط1، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون - لونغان، ص107.
- ¹⁵ - الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، ص32.
- ¹⁶ - أبو اسحاق الشيرازي، 1988، كتاب المعونة في الجدل، تح: عبد المجيد تركي، ط1، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ص128.
- ¹⁷ - طه عبد الرحمن، 2000، في أصول الحوار وتجديد الكلام، ط2، بيروت، المركز الثقافي، ص35.
- ¹⁸ - ينظر: محمد عزام، 2001، النص الغائب (تجليات التناس في الشعر العربي)، دط، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب، ص27.
- ¹⁹ - الشاطبي، الموافقات، ج3، ص347.
- ²⁰ - نورمان فاركلوف، تحليل الخطاب (التحليل النصي في البحث الإجتماعي)، تح: طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ص07.
- ²¹ - نفس المرجع، ص175.
- ²² - ستيفان أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشر، الأردن، مكتبة الشباب، ص59.
- ²³ - الجاحظ، 1998، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ط7، القاهرة، مكتبة الخانجي، ص83.
- ²⁴ - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص12.
- ²⁵ - ينظر Jen Dubois, 1999, dictionnaire de Linguistique et des sciences du langage, 2^{eme} Edition, Larousse, p116.
- ²⁶ - فوزي عيسى - رانيا فوزي عيسى، 2008، علم الدلالة (النظرية والتطبيق)، ط1، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص59..

فائمة المراجع:

- 1- ابن منظور، 1979، لسان العرب، القاهرة، مصر، مكتبة دار المعارف، ج4.
- 2- الفيروزآبادي، 1986، القاموس المحيط، تح محمد نعيم العرقوسي، ط6، مؤسسة الرسالة.

- 3- الزمخشري، 2005، أساس البلاغة، تع محمد أحمد قاسم، بيروت، المكتبة العصرية.
- 4 - الزمخشري، 1977، الكشف، ط1، بيروت، دار الفكر.
- 5- النيسابوري، 1996، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نخ: الشيخ زكريا عميران، ط1، بيروت، لبنان، دارالكتب العلمية، مج. 5.
- 6 - أبو البقاء الكفوي، 1982، الكليات، نخ: عدنان درويش ومحمد المصري، دمشق، منشورات وزارة الثقافة.
- 7 - محمد مفتاح، 1996، التشابه والاختلاف، ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي.
- 8- سارة ميلز، 2016، الخطاب، تر: عبد الوهاب علوب، ط1، القاهرة، مصر، المركز القومي للترجمة.
- 9 - سعيد يقطين، 1997، تحليل الخطاب الروائي (الزمن السردن التنبؤ)، ط3، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
- 10 - ابن منظور، 1414هـ، لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر، ج. 7.
- 11- الزبيدي، تاج العروس، دار الهداية، ج. 18.
- 12- ديتير فيجر، 1999، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح العجي، ط1، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود.
- 13- محمد مفتاح، 1999، المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، ط1، الرباط، المركز الثقافي العربي.
- 14 - سعيد مجري، 1977، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ط1، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون - لونغمان.
- 15- الشافعي، الرسالة، نخ: أحمد محمد شاكر.
- 16 - أبو اسحاق الشيرازي، 1988، كتاب المعونة في الجدل، نخ: عبد المجيد تركي، ط1، بيروت، دار الغرب الاسلامي.
- 17- طه عبدالرحمن، 2000، في أصول الحوار وتجديد الكلام، ط2، بيروت، المركز الثقافي.
- 18- محمد عزام، 2001، النص الغائب (تجليات التناس في الشعر العربي)، دط، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب.
- 19 - الشاطبي، الموافقات، ج. 3.
- 20- نورمان فاركوف، تحليل الخطاب (التحليل النصي في البحث الإجتماعي)، نخ: طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، لبنان.
- 21- ستيفان أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشر، الأردن، مكتبة الشباب.
- 22 - الجاحظ، 1998، البيان والتبيين، نخ: عبد السلام هارون، ط7، القاهرة، مكتبة الخانجي.
- 23 - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
- 24 -
- Jen Dubois, 1999, dictionnaire de Linguistique et des sciences du langage, 2^{eme} Edition, Larousse.
- 25- فوزي عيسى - رانيا فوزي عيسى، 2008، علم الدلالة (النظرية والتطبيق)، ط1، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية.